السلف (أهل السنة والجماعة)
لا يختلفون في أصل من الأصول[١]

من سمات أهل السنة والجماعة السلف الصالح، أنهم لا يختلفون ولم يختلفوا في أصل من أصول الدين وقواعد الاعتقاد، فقولهم في مسائل الاعتقاد قول واحد بحمد الله، كما قال ابن قتيبة: (إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ)[٢]، يعني بذلك اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ ومع ذلك فإن خلافهم في هذا ـ كما عند البخاري (إن صح) والإمام أحمد ـ خلاف لفظي حيث يجمعون على الأصل وهو أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق.

بخلاف أهل البدع، فإنهم لا يوافقون أهل السنة في الأصول أو بعضها، كما أنهم لا يتفقون على أصولهم، بل كل حزب بما لديهم فرحون، بل إن الفرقة الواحدة منهم لا يتفق أفرادها على أصل كل الاتفاق.

أما عند أهل السنة ـ بحمد الله ـ: فهم يتفقون جملة وتفصيلاً أئمهم وعامتهم على أصول العقيدة، ومايقع من بعض

(١) راجع مقدمات في الأهواء، للمؤلف، ص (٩٠ ـ ٩١).
(٢) درء التعارض، (١ / ٢٦٣).

أفرادهم من مخالفة للأصول التي اتفقوا عليها فهوخطأ مردود على قائله، مع أن ذلك ـ بحمد الله ـ نادر جداً، والنادر لا حكم له.

فقول أهل السنة في صفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله واحد.

وقولهم في الكلام والاستواء والعلو لا يختلف.

وقولهم في الرؤية والشفاعة وسائر السمعيات لا يختلف.

وقولهم في الإيمان وتعريفه وأصوله (أركانه) ومسائله واحد.

وقولهم في القدر واحد.

وقواعدهم في الأسماء والأحكام لا تختلف.

وقولهم في الصحابة والسلف الصالح واحد.

فاختلاف أهل السنة إنما كان في الاجتهاديات من أمور الأحكام، أو فرعيات المسائل الملحقة بالعقيدة مما لم يرد به دليل قاطع، وذلك:

كمسألة اللفظ بالقرآن ـ التي سبق ذكرها ـ ومسألة رؤية النبي ﷺ لربه في المعراج، هل كانت بصرية أو قلبية؟ ومسألة رؤية الله تعالى في المنام، ومسألة ابن صياد هل هو الدجال الذي يخرج في آخر الزمان أو غيره؟، ونحو ذلك من المسائل المختلف عليها ولم يرد الدليل صريحاً فيها وألحقها العلماء بموضوعات العقيدة لأنها تندرج في جنسها علميا وموضوعياً لا عقدياً.

وهذه الأمور ونحوها ليست من أصول الاعتقاد والخلاف فيها دائر مع النصوص لم يقل فيها السلف برأيهم المحض ـ والله أعلم ـ.

ومَردُّ ذلك ـ أي اتفاق السلف ـ إلى أمور كثيرة منها:

١ ـ اعتصامهم بحبل الله جميعاً.

٢ ـ أن مصدرهم واحد هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بخلاف أهل الأهواء، فإنهم تعددت مصادرهم من القول بالرأي فيما لا تدركه الآراء، والتعويل على العقليات فيما لا طاقة للعقول به، والأخذ عن الفلاسفة والأمم الهالكة وقد نهوا عن ذلك.

٣ ـ أن اعتقادهم ابتداء يقوم على التسليم لله تعالى وتصديق رسوله ﷺ، بخلاف أهل الأهواء فإنهم لم يسلموا ولم يذعنوا، وإن ادعى بعضهم ذلك؛ لأن مقضى التسليم التزام ألفاظ الشرع.

٤ ـ أنهم انتهوا عما نهى الله عنه، فلم يخوضوا في الغيبيات، ولم يقولوا على الله بغير علم، ولم يجادلوا ولم يماروا ولم يؤولوا، . . . بخلاف أهل الأهواء فقد ارتكبوا جميع هذه المنهيات.

٥ ـ أنهم تلقوا الدين بالاهتداء، والاقتداء والاتباع على بصيرة، فقد أخذوا الدين عن العدول الثقات بدليله.

فالصحابة أخذوا عن رسول الله ﷺ، والتابعون أخذوا عن الصحابة، وهكذا حمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ومن كل جيل ثقاته، ومن كل عصر علماؤه.

بخلاف أهل البدع والأهواء فقد تعددت مناهجهم في تلقي الدين، وخلطوا في وسائلهم وأساليبهم حتى تقطعت بهم السبل[1]، نسأل الله العافية.

(١) انظر مبحث (منهج أهل السنة يقوم على الاتباع . .) في هذا الكتاب.

obeikandl.com

اختلاف الصحابة والسلف الصالح لم يصل إلى التنازع والافتراق

اختلف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد رسول الله ﷺ في مسائل مهمة وأمور وأحكام كثيرة، لكن اختلافهم كان ينتهي (على مقتضى الكتاب والسنة) إما بالإجماع أو العمل على ما يترجح، أو يفصل في الأمور الخليفة، أو أهل الحل والعقد، أو يبقى الخلاف سائغاً، وفي ذلك كله لم يصل الأمر عندهم إلي حد التنازع في الدين، ولا الافتراق والخروج على الجماعة، ولم يبغ بعضهم على بعض.

فقد اختلفوا في موت الرسول ﷺ، وانحسم النزاع بموقف أبي بكر وقوله: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وبعد هذا النزاع[1] سلم الجميع لقضاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ثم حدثت قصة السقيفة، وتنازع الصحابة فيمن يخلف

(١) انظر منهاج السنة، (٦ / ٣٢٣).

رسول الله ﷺ في إمامة المسلمين، وانتهى النزاع واجتمعت الكلمة على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ[١].

ثم اختلفوا في جيش أسامه هل يسيرونه أو لا؟ وانتهى النزاع بعزم أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أمير المؤمنين ـ على إنفاذه[٢].

ثم تنازعوا في مانعي الزكاة من أهل الردة، وحسم النزاع بعزمة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ على قتالهم[٣] ورجوع بقية الصحابة الذين كانوا خالفوا إلى قوله وموافقتهم له.

ثم إن الغالبية العظمى من أصحاب رسول لله ﷺ لم يشاركوا في صفين والجمل، فإن الفتنة لما حدثت بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ اعتزلها أكثرُ الصحابة، وماحضرها منهم إلا القليل، والذين حضروا كانوا مجتهدين، وما كانوا يريدون القتال إنما قصدهم الإصلاح، بخلاف من دونهم من أهل الأهواء: السبئية ـ الخوارج والشيعة ـ فإنما هم أصحاب أهواء وفتنة، وهم الذين تسببوا في القتال وحملوا الصحابة عليه.

قال عبدالله بن الإمام أحمد: (حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل

---

(١) انظر منهاج السنة (٦ / ٣٢٥)، والبداية والنهاية(٦ / ٢٤٥ ـ ٢٥٠).
(٢) انظر البداية والنهاية، لابن كثير (٦ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥).
(٣) المرجع السابق، (٦ / ٣١١).

يعني ابن علية، حدثنا أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فماحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين)[١].

قال شيخ الإسلام: (وهذا الإسناد من أصح إسناد على وجه الأرض)[٢].

وقد جمع الله شمل الأمة بعد الفتنة بتنازل الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ عن الخلافة لمعاوية ـ رضي الله عنه ـ عام الجماعة (٤١هـ)، وقد ضاق أهل الأهواء ـ ولا يزالون ـ ذرعاً بهذا الصلح العظيم.

ثم إن الصحابة الذين اجتهدوا وشاركوا في تلكم الأحداث قليل، ودعوى أن عامة الصحابة شاركوا ليست صحيحة، وهي من افتراءات الإخباريين، وأوهام الناس فقد أخرج الخلال في السنة بالسند السابق، قال (قرئ على عبدالله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: ثنا إسماعيل قال: ثنا أيوب عن محمد بن سيرين، قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فماحضر فيها مائة بل لم يبلغوا ثلاثين)[٣].

---

(١) منهاج السنة، (٦ / ٢٣٦)، والسنة للخلال (١ / ٤٤٦).
(٢) منهاج السنة، (٦ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧).
(٣) السنة للخلال (٢ / ٤٦٦)، وقال المحقق: (إسناده صحيح).

وقال: (قرئ على عبدالله بن أحمد، قال: حدثني أبي قال: ثنا سفيان، قال: ثنا منصور بن عبدالرحمن، قال: قال الشعبي: لم يشهد الجمل من أصحاب النبي ـ عليه السلام ـ غير عليّ وعمار وطلحة والزبير فإن جاوزوا بخامس فأنا كذاب)[١].

وربما كان يقصد بعض مشاهد الجمل، إذ قد حضرها الحسن والحسين وعائشة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وقال شيخ الإسلام: (ولهذا لم تحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان: بدعة الخوارج المكفرين لعلي، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته، أو نبوته أو إلاهيته.

ثم لما كان في آخر عصر الصحابة، في إمارة ابن الزبير وعبدالملك، حدثت بدعة المرجئة والقدرية، ثم لما كان في أول عصر التابعين في أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية المعطلة والمشبهة الممثلة، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك)[٢].

والذين بقوا من الصحابة بعد ظهور الفرق لم يقع من أحد

(١) السنة للخلال (٢ / ٤٦٦)، وقال المحقق: (إسناده صحيح).
(٢) منهاج السنة، (٦ / ٢٣١).

منهم افتراق، ولا بدع مخرجة عن السنة، بل كانوا إلباً على الأهواء والبدع.

وكذلك كان التابعون وتابعوهم وسائر السلف الصالح والحمد لله على توفيقه.

ويقول ابن القيم: (وقد تنازع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الناس إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال)[1].

كذلك بدع التأويل للصفات والغيبيات الأخرى، لم تحدث في عهد الصحابة ولا منهم، فإن جميع ما في القرآن والسنة، من نصوص الصفات لم يحدث عن الصحابة تأويل لها على نحو ما فعل أهل الكلام، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه طالع التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث في أكثر من مائة تفسير، ولم يجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل ثبت عنهم مايخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله[2].

---

(١) إعلام الموقعين (١ / ٧١).

(٢) انظر الفتاوى (٦ / ٣٩٤).

وكل المسائل التي تنازع فيها الصحابة كانت من قبيل الاجتهادات والأحكام ولم تؤد إلى الفرقة ولا المنازعة بينهم.

ومع أن الفرق الأولى (الشيعة والخوارج ثم القدرية) نشأت في عهد الصحابة إلا أنهم كانوا خصومها كلهم، ولم يكن أحد منهم يتهم بشيء من الأهواء (حاشاهم) ومن زعم شيئاً من ذلك فقد افترى.

فالصحابة لم يحدث منهم افتراق ولا بدع، فلم يحدث من أحد منهم أن قال ببدعة أو فارق الجماعة، ولم يكن أحد منهم من أهل البدع المشهورة (كالخوارج والروافض والقدرية والمرجئة)، فضلاً عن الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام وقد حدثوا من بعدهم[1].

كما أن الصحابة لم يكفر أحد منهم الآخر، بل كانوا يعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه، ولما حدثت الفتنة وانحاز بعض الصحابة إلى علي، وآخرون إلى معاوية ـ رضي الله عنهم ـ لم يوجب ذلك عداوة بينهم ولم يكفر بعضهم بعضاً، ولم يكفر أحد منهم مخالفيه لا من الصحابة ولا من غيرهم.

***

(١) انظر الفتاوى (٢٧ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

مزاعم الفرق بأن بعض الصحابة على مذاهبها

* أما ما تزعمه بعض الفرق من أن بعض الصحابة كانوا على مذهبها هو محض باطل وبهتان.

* كما زعمت الرافضة أن علياً والحسن والحسين وسلمان والمقداد على مذهبها وهو محض افتراء.

* وكما زعمت المعتزلة أن ابن عمر والصحابة الذين اعتزلوا الفتنة هم سلفهم وهو كذب، فإن أولئك الصحابة إنما اعتزلوا الفتنة وهذا يحمد لهم حسب اجتهادهم، أما هؤلاء المعتزلة فقد اعتزلوا أئمة المسلمين ـ كالحسن البصري ـ وجماعتهم، وفارقوا السنة والجماعة، وفرق بين اعتزال الفتنة وبين اعتزال أهل الحق.

* وكما زعمت الصوفية أن أهل الصفة كانوا على مذاهبها وأحوالها وأنها امتداد لهم وهذا بهتان عظيم.

* وزعموا أن كل فرقة تدعي أن لها سلفاً من الصحابة وهل يكفي مجرد الدعوى؟.. إن لكل دعوى حقيقة ولكل نبأ مستقر، فمن هم الذين على منهج الصحابة؟ إنهم على مقتضى الدليل والتحقيق والواقع: السلف الصالح، أهل السنة والجماعة وكتبهم وأقوالهم وأفعالهم ومناهجهم شاهدة

بذلك، أما مزاعم أهل الأهواء أنه على السنة فلا دليل عليها، والدعوى العارية من الدليل تبقى مجرد أوهام وظنون وأكاذيب.

أما أهل السنة فهم أهل الحق بخبر النبي ﷺ حين أمر بلزوم الجماعة، فقال: «**وعليكم بالجماعة**»، فلنطبق الموازين العلمية والشرعية والعقلية والتاريخية؛ ولنر مَنْ هم مِنْ طوائف المسلمين أقرب إلى هذا الوصف، أعنى الاتصاف بأهل السنة والجماعة وأترك الحكم للقارئ...

* وكذلك مزاعم بعض أصحاب الاتجاهات المعاصرة أن بعض الصحابة على مذهبهم، كزعم الاشتراكيين أن أبا ذر كان اشتراكياً، وأن علياً كان متكلماً وكذلك ابن عباس ونحو ذلك... كل ذلك محض كذب وافتراء.

* أما ما زعمه أحد المفتونين من المعاصرين من أن الجذور السياسية للخلافات العقدية تبدأ من أحداث السقيفة، وبيعة الصديق، والوصية، وبيعة عمر، والشورى وبيعة عثمان وبيعة علي، وصلح الحسن مع معاوية ونحو ذلك[1].. فهو خطأ وتحامل على الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

---

(١) انظر قراءة في كتب العقائد ص ٣٩ ولاحظ لهجة التحامل على السلف والميل إلى أهل الأهواء من الرافضة وغيرهم.

* وهذه المزاعم هي التي تقوم عليها أصول الرافضة في الإمامة والصحابة، وهي من ذرائعهم الخبيثة لسب أصحاب رسول الله ﷺ.

بل الحاصل خلاف ما ادعاه هذا المفتون وأشياعه من أهل الأهواء والافتراق والمنافقين قديماً وحديثاً، إذ الصحابة كانوا كلهم فيما حدث بينهم مجتهدين، وقد عذر بعضهم بعضاً، ولم يفارق أحد منهم السنة والجماعة مع العلم أن منهم المخطىء ومنهم المصيب، وكلهم مأجورون وأجرهم على الله.

قال شيخ الإسلام: (قال محمد بن عبيد حدثنا الحسن - وهو ابن الحكم النخعي - عن رباح بن الحارث، قال: إنا لبواد، وإن ركبتي لتكاد تمس ركبة عمار بن ياسر إذ أقبل رجل فقال: كفر والله أهل الشام، فقال: عمار: لا تقل ذلك، فقبلتنا واحدة، ونبينا واحد، ولكنهم قوم مفتونون فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق.

وبه قال ابن يحيى، حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الحسن بن الحكم عن رباح بن الحارث عن عمار بن ياسر قال: ديننا واحد، وقبلتنا واحدة، ودعوتنا واحدة، ولكنهم قوم بغوا علينا فقاتلناهم.

قال ابن يحيى حدثنا يعلى حدثنا مسعر عن عبدالله ابن رباح عن رباح بن الحارث، قال: قال عمار بن ياسر: لا تقولوا: كفر أهل الشام، قولوا: فسقوا، قولوا: ظلموا)[1].

فلم يحدث - بحمد الله - من الصحابة بدع ولا افتراق فقد زكاهم الله تعالى وأكرم رسوله ﷺ من أن يكون من صحابته مبتدع أو مفارق.

(١) منهاج السنة، (٥ / ٢٤٦).

obeikandl.com

منهج السلف يقوم على السنة والاتباع
ومنهج مخالفيهم يقوم على الابتداع

في الآونة الأخيرة برزت ظاهرة (سبّ السلف) وسبّ خيار الأمة أهل السنة والجماعة، وتداعت إلى هذا الظلم طوائف وفئات متعددة من الحداثيين، والعلمانيين والعقلانيين (العصرانيين) المعتزلة الجدد، ومن أخلاف الموتورين من بقايا الفرق القديمة (كالخوارج، والشيعة والطرق الصوفية الباطنية . . ونحوهم).

وقد شايعهم البعض من المنافقين والجاهلين وعشاق الشهرة، وأهل الأهواء ونحوهم وصار هؤلاء وأولئك يثيرون الشكوك والإشكالات حول الصحابة وأئمة السلف، وأهل السنة والجماعة، ويلقون بالشبهات حول منهجهم وتراثهم، ويتلقطون الأخطاء والزلات ويوهمون الجاهلين بأنها هي أصول ومناهج للسلف، ويطلقون الألقاب الشنيعة، والأوصاف الرديئة غير اللائقة على السلف وأتباعهم قديماً وحديثاً، على نحو ما كان أسلافهم المنافقون يفعلون تجاه رسول الله ﷺ وأصحابه من اللمز والسخرية كقولهم: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن

عند اللقاء. .)[1] وقالوا بمقالات أخرى خبيثة، فأنزل الله فيهم قرآناً يتلى، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦١ - ٦٦].

وهؤلاء من المنافقين المعاصرين ساروا على نهج أسلافهم حذو القُذة بالقذة، والمنافقون ـ قديماً وحديثاً ـ حينما يسبون الصالحين من المؤمنين ويلمزونهم قد يتعلقون ببعض ما قد يحصل من بعضهم من الشبهات والزلات فيلبسون بها على الناس.

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير في تفسير هذه الآيات (سورة التوبة، آية ٦١ ـ ٦٦).

فقد يقع من بعض الصالحين من المؤمنين كذب، أو خطأ أو زلة أو هوى أو ظلم أو تجاوز، فيطير بها المنافقون وينسبونها للمؤمنين عموماً، وعلى نحو هذا ما يفعله بعض المفتونين المعاصرين في تصيدهم للأخطاء التي قد تقع من أفراد أهل السنة والسلف الصالح، وليست هي الأصل فيهم، بل العكس لو تأملتها وجدتها هي الأصل عند خصومهم أهل الأهواء والافتراق والبدع، ومناهج السلف على خلافها بحمد الله.

ولذلك رأيت أنه من المفيد أن أعقد موازنة بين منهج السلف وبين مناهج أهل الأهواء يتبين من خلالها أن الأصل في مناهج السلف الحق والصواب، وأن الأخطاء والمخالفات التي تخرج عن ذلك؛ فهي زلات ليست محسوبة على المنهج، وكذلك العكس وهو: أن الأصل في مناهج أهل الأهواء: الابتداع والضلال والباطل، وأن الصواب والحق والسنة استثناء.

وقد آثرت في هذه الموازنة الإيجاز والاكتفاء بالأصول العامة والمناهج دون التفاصيل، مع العلم أن بعض المسائل الواردة في هذه الموازنة ورد الحديث عنها من خلال هذا المؤلف وغيره، وإليك بيان ذلك:

أولاً: عرفنا أن أصول السلف أهل السنة تقوم على صحة مصادر التلقي وهي (القرآن والسنة) وعلى سلامة

منهج الاستدلال والتقرير على نحو ما ذكرته في مبحث سابق من هذا الكتاب.

* أما أهل البدع والأهواء فإن مناهجهم في التلقي والاستدلال وتقرير العقيدة مختلفة ومخالفة في ذلك كله، وبيان ذلك:

١ ـ أهل الأهواء لا يكتفون بالاعتماد على الكتاب والسنة، وقد لا يعول كثير منهم عليهما في حين أنهم يعتمدون على مصادر أخرى كل حسب مشربه، ثم هم يردون النصوص التي تخالف أصولهم المبتدعة، أما السلف ـ أهل السنة ـ فإن أصولهم تقوم على الكتاب والسنة أصلاً ولذلك هم يسلمون لنصوص الشرع الثابتة، ولا يعولون على غير الوحي في الدين.

٢ ـ غالب أهل الأهواء تصورهم عن النبوة منحرف وكذلك اعتقادهم في الوحي وكلام الله، فإن الكثيرين منهم يتوهمون، أن الوحي نتاج بشري أو صادر عن مخلوق، لا أنه كلام الله ووحيه لرسله.

٣ ـ كثيرون من أهل الأهواء والبدع يزعمون أو يظنون أن النصوص الشرعية لا تفي بكل أمور الدين، أما السلف فيعتقدون جازمين بكمال الدين ووفائه بكل متطلبات البشر في الدين والدنيا.

٤ ـ من سمات أهل الأهواء تركهم للسنة والآثار إذا لم توافق هواهم، وزعمهم الاكتفاء بالقرآن، أما أهل السنة فيعتمدون على الكتاب، والسنة والآثار الصحيحة، ولذا صاروا هم أهل السنة على الحقيقة. أهل الأهواء لا يتورعون عن الطعن في خبر الآحاد وإن ثبت سنده، وبذلك يردون الكثير من الدين، أما أهل السنة ـ السلف الصالح ـ فهم يقبلون كل ما صح عن رسوله ﷺ وإن كان آحاداً.

٥ ـ أهل الأهواء يدعون أن نصوص الصفات والغيبيات ونحوها من المتشابه، وكثيرون منهم يزعمون أن مناهجهم وقواعدهم العقلية هي المحكمة، وما يعارضها من الأدلة الشرعية هو المتشابه، وقد قال الله فيهم: ﴿ .. **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران: ٧].

أما أهل السنة فيؤمنون بأن كل نصوص الصفات والعقيدة والغيبيات من المحكم، وأنه حق على مراد الله تعالى، وإنما التشابه يكون في فهوم الناس وعقولهم القاصرة، وخوضهم في الكيفيات التي لا يعلمها إلا الله سبحانه.

٦ ـ كثيرون من أهل الأهواء يزعمون أن الأدلة الشرعية ظنية وأن معقولاتهم وأوهامهم قطعية، ولذلك نجدهم كثيراً ما يستعملون الأقيسة العقلية في صفات الله والقدر والغيبيات الأخرى، وسائر أصول العقيدة، أما السلف فيؤمنون بأن الأدلة قطعية، وإن خفيت دلالات بعضها وتأويلاتها على العقول فإن ذلك راجع إلى قصور العقول.

٧ ـ غالب أهل الأهواء والبدع يعتمدون على التأويل والتعطيل والمجاز في صفات الله تعالى وسائر العقيدة، أما السلف فيمنعون التأويل والمجاز في الصفات والعقيدة؛ لأنه رجم بالغيب، وقول على الله بغير علم، واستسلام للأوهام والظنون.

٨ ـ أكثر أهل الأهواء يعتمدون في كثير من المسائل على الكذب والوضع وما لا أصل له في الدين، أما السلف فلا يعتمدون في الدين إلا على الصحيح، ويردون الأحاديث المكذوبة والموضوعة، وهم أهل الشأن في ذلك كما بينت.

٩ ـ أكثر أهل الأهواء والبدع يعظمون طريق الفلاسفة في تقرير الدين، والحكم على الغيبيات، وطريقة الفلاسفة تقوم على تجهيل الأنبياء، ومعارضة ما جاؤوا به من الحق والهدى وعلى التخرصات، والخيالات والأوهام، ومحارات العقول

كما قال الله عنهم وأمثالهم: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١٠، ١١].

١٠ ـ ولذا نجدهم (أعني أهل الأهواء) يعتمدون في تقرير العقيدة على أصولهم الفاسدة، وقد يذكرون الدليل الشرعي للاعتضاد لا للاعتماد، أما السلف فإنما يقررون الدين بالأدلة الشرعية وقواعد الشرع، ويوردون الأدلة الشرعية الثابتة للاعتماد لا للاعتضاد، وقد يوردون الدليل الضعيف للاعتضاد لا للاعتماد.

١١ ـ أهل الأهواء والبدع يستدركون على الشرع ولذلك يلزمهم في طريقتهم في تقرير الدين ـ بالتأويلات والعقليات والمحدثات ـ أن الرسول ﷺ عدل عن بيان الحق للناس ليجتهدوا في التأويل، والإحداث في الدين، أما أهل السنة ـ السلف الصالح ـ فيعتقدون أن: «**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[(١)].

١٢ ـ أهل الأهواء و البدع من منهجهم في الاستدلال وضع الدليل في غير ما يدل عليه، أما أهل السنة فيراعون قواعد الاستدلال ووضع الأدلة في مواضعها على أصول علمية سليمة.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله الحديث رقم (٨٦٧) وأخرجه النسائي برقم (١٥٧٧) واللفظ له.

١٣ ـ كثير من أهل الأهواء والبدع يعلنون كراهيتهم لنصوص الصفات والتوحيد، ويطعنون في أسانيدها ورواتها من الأئمة وفي متونها، على غير قاعدة شرعية؛ ولذلك قد يسمون أصولهم الباطلة أصول الدين والتوحيد، وهذا بخلاف مذهب السلف الذي يقوم على التسليم والرضى واليقين.

١٤ ـ ومن أصول أهل الأهواء في الاستدلال: قياس الغائب على الشاهد، إذ يقيسون صفات الله تعالى والأمور الغيبية على المخلوقات والأمور الحسية المشاهدة، وقد سلمت عقائد السلف ومناهجهم من هذه التوهمات والأقيسة المنافية للإيمان بالغيب.

١٥ ـ من أصول أهل الأهواء عدم عنايتهم بالرواية والأسانيد، وجهلهم بذلك وبقدر هذا المنهج العلمي الأصيل في حفظ الدين. أما السلف فهم أهل هذه الصنعة التي حفظ الله بها السنة.

١٦ ـ وكذلك من سمات أهل الأهواء أحياناً جهلهم باللغة، أو تجاهلهم وعدم اعتبارها إلا فيما يخدم أهواءهم وبدعهم، أما أهل السنة فيعنون بعلوم اللغة ويعتمدونها في تفسير النصوص على المنهج الشرعي السليم.

ثانياً: من أصول أهل السنة والجماعة تحقيق التوحيد وصفاؤه وسلامة المنهج في تقريره، ومن أصول الأهواء والبدع، انحرافهم في مفهوم التوحيد وتقريره، ومن ذلك:

١ ـ أن حقيقة التوحيد عندهم تنتهي بالتعطيل، أي انكار أسماء الله وصفاته وأفعاله أو بعضها.

٢ ـ وأن تعريف التوحيد عند أهل الأهواء ينتهي بالإقرار بالربوبية، وليس لهم اهتمام بتوحيد العباد الذي هو الغاية من إرسال الرسل.

٣ ـ ووقوعهم في تقرير التوحيد فيما نهى الله عنه من التخرصات والأوهام، والخوض في المتشابهات، والمراء والجدال فيما ليس لهم به علم، والخوض بالغيب والقول على الله بغير علم.

٤ ـ وكذلك تباينت مفاهيمهم وتعددت مناهجهم في تقرير التوحيد وإثباته.

ثالثاً: أصول أهل السنة والجماعة تقوم على العلم وقواعد الدين المستمدة من الوحي المعصوم، القرآن وما صح عن رسول الله ﷺ، أما أهل الأهواء والافتراق والبدع، فإن أصولهم تقوم على الجهل بنصوص الدين وقواعده، ومن ذلك:

١ ـ جهلهم بما دل عليه الكتاب والسنة وآثار السلف وعدم رسوخهم في العلم.

٢ ـ وقد نتج عن جهلهم: سوء الأدب مع الله تعالى والخوض في أسمائه وصفاته بغير علم.

٣ ـ وكذلك، تجهيلهم للسلف، وزعمهم أن طريقة الخلف أعلم وأحكم من طريقة السلف.

٤ ـ وحصرهم الحق في أنفسهم وتجاهلهم لأهل السنة والسلف الصالح، فلا يعرفون لهم فضلهم وقدرهم بل بالعكس.

٥ ـ ومن جهلهم أنهم قد ينسبون أقوالهم للسلف فيما يناقض مذهب السلف أصلاً، كالتفويض والتأويل والإرجاء والجبر والتكفير والنصب.. ونحو ذلك.

رابعاً: منهج أهل السنة يقوم على الحق البين، والمنهاج الشرعي الواضح، والصراط المستقيم المستمد من الوحي المعصوم، أما مناهج كثير من أهل الأهواء فإنما تقوم على التلبيس ومن ذلك:

١ ـ دعواهم أنهم هم أهل الحق والتوحيد والعدل والاستقامة والسنة.

٢ ـ ومن التلبيس والجهل لدى أهل الأهواء: جعلهم السنة بدعة والبدعة سنة.

٣ ـ ومن تلبيسهم إلحاق البدع المحدثة بالعمل المشروع.

٤ ـ ومن تلبيسهم قلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ.

٥ ـ ومن تلبيسات أهل الأهواء استعمال الألفاظ المجملة والمحتملة لتفادي مصادمة النصوص (ظاهراً)؛ لأن ذلك أدعى لرواج مذاهبهم الباطلة.

٦ ـ ومن التلبيس زعمم أن مذهب السلف في إثبات الصفات(تشبيهٌ) ووصفهم للسلف بأنهم (مكفرّة وسبَّابة وجبرية ونواصب) وأنواع أخرى من الأوصاف والألقاب الشائنة تلبيساً وتمويهاً، وقد أشرت إلى هذا في أكثر من موضع في هذا البحث.

خامساً: كما يتسم منهج السلف بالاتفاق والإحكام والثبات واليقين، تتسم مناهج أهل الأهواء بالتناقض والاضطراب والتلوّن والحيرة، ومن ذلك:

١ ـ تناقض أهل الأهواء والافتراق واضطرابهم في جميع الأصول والمناهج والمسائل والاستدلال والتقرير ومن تناقضهم خلطهم بين السنن وبين المحدثات والبدع والجمع بين المتناقضات

في الاعتقادات. بخلاف ما كان عليه السلف أهل السنة ـ بحمد الله ـ من الاتفاق ووحدة الأصول والمنهج، ولذلك ليس عند أهل الأهواء قطعيات ولا يقين في حقيقة الأمر.

٢ ـ أصولهم وقواعدهم التي يعولون عليها يختلفون فيها ويناقضونها.

٣ ـ ولذلك يلاحظ أن من سمات أهل الأهواء التنقل بين المذاهب، والتحول في الآراء، وعدم الاستقرار على رأي.

٤ ـ وكذلك من سمات أهل الأهواء كثرة وقوعهم في الحيرة والشك والاضطراب في تقرير مقالاتهم الفاسدة.

٥ ـ ومن ذلك ما نجده من الاضطراب والتناقض في موقفهم من الدين ومن السلف.

٦ ـ وكذلك إعلان إفلاس كثير منهم في العقيدة واعترافهم بذلك في نهاية الأمر.

٧ ـ الانحرافات والضلالات عند أهل الأهواء أنواع شتى(ولكل منهم وجهة) ولذلك نجد كلاً منهم يقول عن الآخر إنه ليس على شيء، لكنهم قد يجتمعون على عداء السنة وأهلها، وقد سلم السلف ومنهجهم من هذا الاضطراب ـ بحمد الله ـ لأنهم على صراط الله المستقيم.

سادساً: من سمات أهل السنة الولاء للمؤمنين وحب الصالحين، وتعظيم قدر الصحابة والعلماء أئمة الدين، ومن سمات أهل الأهواء الغِلُّ على أهل السنة، وسبّ السلف ولَمْزِهم، ومن ذلك:

١ ـ طعنهم في أصحاب رسول الله ﷺ أو بعضهم ولَمْزِهم للسلف (أهل الحديث والسنة) وتعييرهم وسبهم وبغضهم (أو بعضهم) ومن ذلك تسميتهم أهل السنة (حنابلة) أو (وهابية) ونحو ذلك.

٢ ـ جفاؤهم للحديث والإسناد وأهله غالباً.

٣ ـ كذبهم وتقوُّلهم على الأئمة العلماء.

سابعاً: يتسم كثر من أهل الأهواء بموقفهم العدائي مع المخالفين، ومن ذلك:

١ ـ مواقفهم مع المخالفين إجمالاً تتسم بالغرور والتعالي، والاستهانة بالرأي المخالف وصاحبه والتضييق ظلماً وعدواناً، والإلزام بالباطل بغير بينات، ولذلك نجد غالبهم يتنكرون للسنة ويضيقون على أهلها.

٢ ـ يبتدعون البدعة ويكفرون مخالفها، أو على النقيض من ذلك، فبعضهم لا يفرق بين السنة والبدعة، ولا بين الإيمان

والكفر. أما أهل السنة فهم - بحمد الله - أهل إنصاف وتواضع وإشفاق ورحمة، ولا يكفرون المخالف لمجرد كونه مخالفاً إلا بدليل.

ثامناً: من أصول أهل الأهواء والافتراق:

الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم، واستحلال السيف، وهذا منهج غالب فيهم، ومن سماتهم العامة، فهم لا يرون للسلطان طاعة، ولا يأخذون بوصية النبي ﷺ بالصبر على الظلم والجور والأثرة من الوالي المسلم، ولذلك كان بعض السلف يسمي كل أهل الأهواء (خوارج).

تاسعاً: من سمات أهل الأهواء:

الإصرار على بدعهم (إلا النادر) فلا يهتدون إلى الحق والسنة ولا يوفَّقون للتوبة؛ وذلك بسبب إصرارهم على البدعة. والله أعلم، فهم ممن قال الله فيهم ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

عاشراً: من سمات أهل الأهواء:

كثرة الكلام فيما لا يعنيهم، وما ليس من اختصاصهم لا سيما في أمور الدين والعقيدة، والإكثار من حشو الكلاميات

ومن الكتب والمصنفات والردود؛ ولذلك اتسمت كتبهم ومصنفاتهم وأعمالهم بقلة البركة وقلة الفائدة.

حادي عشر: من سمات أهل الأهواء:

حرصهم علي نشر البدعة، وقوة تأثيرهم فيمن يخالطهم، ولذلك تكثر استمالتهم للعامة والغوغاء والدهماء، وأصحاب المطامع وعشاق الشهرة، وقد تستجيب لهم هذه الفئات بسرعة عند الفتن، وعند غربة السنة وأهلها.

ثاني عشر: من سمات أهل الأهواء:

التعالم والغرور، فمن تعالمهم: زعمهم أنهم أعرف من العلماء الراسخين في الدين، أو مثلهم، وأنهم جديرون بالقول والحكم والاجتهاد مع قلة علمهم وجهلهم بالنصوص وقواعد الاستدلال وأصول الاجتهاد، بل إن غالبهم في الحقيقة من أصحاب الجهل المركب، ومن غرورهم وخذلانهم ظنهم أنهم ينصرون الإسلام بمناهجهم الضالة ومقالاتهم المبتدعة.

ثالث عشر: من سمات أهل الأهواء:

وقوعهم بين الغلو والتقصير، فكلُّ أهلِ الأهواء خارجون عن منهج الاعتدال، فمنهم فرق اتسمت بالغلو والتنطع، كالخوارج والشيعة وبعض المعتزلة، وأخرى اتسمت بالتقصير،

كالمرجئة والجهمية، وثالثة جمعت بين الغلو والتقصير كالصوفية وأكثر المعتزلة.

رابع عشر: ومن سمات أهل الأهواء كذلك:

١ ـ استحواذ الشياطين والجن على طوائف منهم.

٢ ـ الجرأة على الله ورسوله وعلى الدين وعلى عباد الله الصالحين. ومن هنا نجد أن أصولهم كلها مخترعة مبتدعة ليس لهم فيها قدوة من أعلام الهدى الأئمة الأعلام؛ ولذا وقعوا في تقرير قواعد فاسدة والقول بلوازمها.

٣ ـ القعود عن الجهاد وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعضهم يعبر عن الجهاد بأنه (قسوة وعنف) والنهي عن المنكر بأنه (حَجْرٌ وتقييد للحريات).

٤ ـ يكتبون ما لهم ويعلنونه ويكتمون ما عليهم ويتجاهلونه.

٥ ـ التكلف والتعمق واتباع الصعاب والمحارات والمعضلات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

٦ ـ اعتقادهم ما تتوهمه عقولهم، فإن أصولهم واعتقاداتهم ناتجة عن التوهمات والخيالات والتخرصات فهم على منهج

الذين قال الله فيه: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١٠ - ١١].

٧ - تستهويهم العقليات والفلسفات ويزينها لهم الشيطان، وقد نتج عن تعويلهم على ذلك زعمهم أن العقيدة (عقيدة السلف) مما لا يعقل، وتوهم المعارضة بين العقل والشرع.

٨ - ومن أبرز سمات أهل الأهواء والبدع: مضاهاتهم للشرع، وتدرجهم في مناهج الباطل، واتسامهم بالذلة والصغار.

٩ - المتأمل لحال أهل البدع والأهواء يجد أنه ليس في أئمتهم من تجمع الأمة على أنه إمام هدى، لكنهم قد ينتحلون بعض أئمة الدين تلبيساً.

١٠ - شؤمهم على الأمة وإسهامهم في نكباتها وفرقتها وهوانها وتسلط أعدائها.

الخلاصة:

إن مناهج أهل السنة والسلف الصالح تقوم على السنة والجماعة والاتباع كما أمر الله ورسوله ﷺ، ومناهج أهل الأهواء تقوم على البدعة والفرقة والابتداع واتباع السُّبُل.

السنة تجمع المسلمين، والبدع والأهواء تفرقهم

السنة والاستقامة تعني الجماعة والعزة والتمكين وعكسها البدعة والإعراض عن شرع الله فإن ذلك يعني بالضرورة (بالنسبة للمسلمين): الفرقة والذلة والهزيمة (والنكسات والنكبات).

ولكن أهل الأهواء والمنافقين ـ قديماً وحديثاً ـ عكسوا القاعدة ـ كعادتهم ـ، فزعموا أن التزام السنة ومحاربة البدع، والانكار على أهل البدع والأهواء؛ سببٌ رئيس (في النكسات التي أصابت الأمة) وهذا من التلبيس والجهل فإن العكس هو الصحيح، فإن المتأمل لأحوال المسلمين قديما وحديثاً يجد أن من أعظم سمات أهل الأهواء والبدع والافتراق شؤمهم على المسلمين في كل زمان وحيثما كانوا.

ويكفيك أن تنتقل بذهنك إلى أحداث التاريخ المشهورة، والتي ألحقت بالمسلمين الذلة والفرقة والتشتت تجدها من أهل الأهواء، وأمثلة ذلك:

أول فتنة فرقت الأمة فتنة السبئية، وقد أدت إلى قتل خليفة المسلمين الراشد عثمان ـ رضي الله عنه ـ ثم تمخضت عن افتراق الخوارج والشيعة، عن جماعة المسلمين وإمامهم.

ولما ظهرت القدرية والمعتزلة والجهمية أفسدت عقائد طوائف من الأمة، وأوقعتها في الأهواء والفرقة والخصومات والمراء في الدين والفتنة في العقائد.

ولما تمكنت المعتزلة في الدولة ألزمت الأمة بالقول بالكفر (خَلْق القرآن) وامتحنت العلماء وعرضتهم للسيف والسجن والإهانة، والقول بخلاف الحق.

ولما تمكنت دويلات الرافضة والباطنية كالبويهية والعبيدية والقرامطة، قمعت السنة وأهل الحديث وأظهرت البدع والإلحاد والزندقة والكفر وتسلط أوباش الباطنية على رقاب المسلمين، واعتدوا على المقدسات وقتلوا الحُجاج وأخذوا الحجر الأسود، وعاثوا في الأرض فساداً، وأباحوا المحرمات، ومكَّنوا للنصارى من دخول ديار المسلمين.

ولما تمكن بعض الرافضة من الوزارة في آخر عهد الدولة العباسية والدويلات التي تلتها خانوا الأمة وأدخلوا التتار والنصارى ديار المسلمين ومكنوهم فيها.

ولما تمكنت الطرق الصوفية وأهل البدع من الدولة العثمانية في آخر عهدها ضعفت الأمة وذلت وعلقت أقدارها بغير الله، وتعلقت بالأضرحة والبدع والغلو في الشيوخ وتقليدهم بلا

بصيرة، فأصابها الذل والتشتت وسلط الله عليها الأعداء فمزقوها وفرقوا شملها.

ولا تزال الفرق والطرق الصوفية ببدعها ومحدثاتها من أعظم أسباب وهن الأمة وانحطاطها، ناهيك عن هيمنة الرافضة والباطنية وأهل الأهواء والبدع والعلمنة والإلحاد والإعراض عن دين الله وشرعه.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض الآثار السلبية من جراء تأثير أهل الأهواء وتمكينهم. من ذلك:

شؤم الجعد بن درهم على دولة بني أمية ومروان بن محمد:

قال: «وقد قيل: إن أول من عرف أنه أظهر في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون، هو الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبدالله القسري، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، إني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه، وشكر له علماء المسلمين ما فعله، كالحسن البصري وغيره.

وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة فإنه إذا ظهرت

البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل، وانتصر لهم»[١].

وعن أثر الباطنية في إظهار الزندقة والرفض والإلحاد وشيوع البدع والطرق.

قال: «ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون (إنكار الصانع وإنكار عبادته) وخيار ما كانوا يتظاهرن به الرفض، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام الرافضة، وظهر بسببهم الرفض والإلحاد، حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغلية ونحوهم متشيعين؛ وكذلك من كان من بني بويه في المشرق»[٢].

أثر ابن سينا وأهل بيته (الباطنية الإسماعيلية) وشؤمهم على الدولة العباسية:

قال: «وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال: وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة، وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر، ولم يكن بلغ بعد، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية؛ ولهذا سمي حينئذ بأمير المؤمنين الأموي الذي كان

(١) الفتاوى (١٣ / ١٧٧).
(٢) المرجع السابق: (١٣ / ١١٧).

بالأندلس، وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم، ويقول: لا يكون للمسلمين خليفتان، فلما ولي المقتدر قال هذا صبي لا تصح ولايته فسمي بهذا الاسم[١]».

وقال: «وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم، ولكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين، وكان نسبهم باطلاً كدينهم؛ بخلاف الأموي والعباسي، فإن كليهما نسبه صحيح، وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين»[٢].

ولما ظهرت البدع والنفاق والفجور سلط الله على المسلمين أعداءهم:

قال: «فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول ﷺ سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة؛ إلى أن تولى نور الدين الشهيد، وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهاد

(١) الفتاوى (١٣ / ١٧٧).
(٢) المرجع السابق: (١٣ / ١٧٨).

لأعدائه، ثم استنجد به ملوك مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة»[١].

قال: «فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبباً لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة»[٢].

وقال: « فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

---

(١) المرجع السابق (١٣ / ١٧٨).
(٢) المرجع السابق: (١٣ / ١٧٩).

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام مظهرين للسنة كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والأهواءوالفرقة والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[1] [الإسراء: ٤ - ٨]».

وهكذا نجد ظهور البدع والزندقة والإلحاد على أيدي أهل البدع والأهواء والفرق سبب لدخول التتار بلاد المسلمين:

قال شيخ الإسلام:

«وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع، حتى إنه صنف الرازي كتاباً في

(١) الفتاوى (١٣ / ١٧٩ - ١٨٠).

عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر، سماه (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم) ويقال: إنه صنفه لأم السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قوي، حتى أنه وصى إليه على أولاده، وصنف له كتاباً سماه (الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية)[1]».

ثم ذكر شيخ الإسلام أثر الجهمية والمعتزلة في فتنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء:

قال: «ثم لما ولي الخلافة (يعني المأمون) اجتمع بكثير من هؤلاء - يعني الجهمية والمعتزلة - . . ودعا إلى قولهم في آخر عمره، وكتب - وهو بالثغر بطرسوس التي ببلد سيس - إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب كتاباً يدعو الناس فيه إلى أن يقولوا: القرآن مخلوق، فلم يجبه أحد، ثم كتب كتاباً ثانياً يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وإرساله إليه فأجاب أكثرهم، ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد، وبقي اثنان لم يجيبا: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح؛ فأرسلوهما إليه فمات قبل أن يصلا إليه، ثم أوصى إليه أخوه أبو إسحاق، وكان هذا سنة ثماني عشرة ومائتين، وبقي أحمد في الحبس

(١) المرجع السابق (١٣ / ١٨٠).

إلى سنة عشرين فجرى ما جرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة، ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه.

وظهر مذهب النفاة الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه وإلا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات، ولم يقبلوا شهادته، وكانوا إذا افتكوا الأسرى يمتحنون الأسير، فإن أجابهم افتدوه وإلا لم يفتدوه.

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي داود على ستارة الكعبة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو العزيز الحكيم﴾ لم يكتب ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ثم ولي الواثق واشتد الأمر إلى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذ السنة»[1].

قلت: لو كان شيخ الإسلام حياً لرأى مصداق قوله في واقع المسلمين في كثير من بلاد المسلمين في الوقت الراهن تحت هيمنة أهل الأهواء والبدع العلمانية، والأقليات الباطنية، والرافضية، والصوفية، والمقابرية، والله المستعان.

بينما البلاد التي تسود فيها السنة لا تزال ـ بحمد الله ـ قوية عزيزة وشعائر الدين فيها ظاهرة، والسنة منصورة كما هو الحال في المملكة العربية السعودية، ولذلك ضاق أهلُ الأهواء

(١) انظر الفتاوى (١٣ / ١٨٣ ـ ١٨٤).

ذرعاً بذلك، وبالمقابل نجد أنه كلما عاد المسلمون أو بعضهم إلى السنة أعزهم الله ومكَّنهم ورفع عنهم الذلة والهوان، كما حصل في عهد صلاح الدين حينما نصر السنة وطهر الأرض من رجس الرافضة العبيدية (الفاطمية) وغيرهم من دويلات أهل البدع التي فرقت المسلمين، ثم لما قامت الدولة العثمانية في أول عهدها على نصر السنة ـ نسبياً ـ تمكنت وجمعت شمل المسلمين، إلى أن دب فيها مرض التصوف والبدع فهانت وذلت، ثم لما قامت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية على نصر السنة وقمع البدع والمحدثات أعزها الله ومكنها، واجتمعت كلمة المسلمين في هذه البلاد عليها، وقويت السنة وأهلها، وانخذلت البدعة وأهلها بحمد الله.

وهذا هو الحق لمن وفقه الله وهداه، وما عداه فهو الباطل الذي سيذهب جفاء بحول الله وقوته، نسأل الله الهداية والتوفيق، ونعوذ بالله من الضلالة والخذلان وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الأهواء والبدع ومصنفاتها هي سبب تفرق المسلمين

زعموا أن كتب العقائد هي سبب تفرق المسلمين، وأنها سبب لنكسات المسلمين التاريخية.

وهذا من جانب حق، وهو أن افتراق المسلمين وخروج طوائف منهم عن نهج السنة والجماعة سبب للفرقة، والفرقة سبب للهزائم والنكسات، وهذا معلوم من الدين بالضرورة وقد أخبر الله عنه وحذر منه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٦ - ٤٨].

وأخبر به رسوله ﷺ وحذر منه[1].

لكن الذم إنما يكون للمفارق، وهم أهل الأهواء والسبل، لا للمتمسك بالحق والسنة وهم السلف الصالح أهل السنة الذين أخذوا بأسباب العزة والنصر والتمكين وهو الاعتصام بحبل الله.

(١) الترمذي (٢٠٩١)، ابن ماجة (٣٩٥٢، ٣٩٨٢)، أحمد (١٢٠٢٢).

أما كتب العقائد الخارجة عن السنة وهي كتب أهل الأهواء فهي قد رسَّخت الفرقة وأسهمت في حدوث النكسات على الأمة.

بخلاف كتب السلف التي تمثل دين الله الذي يأمر بالجماعة والطاعة والجهاد وينهى عن الفرقة والخروج والقعود.

فمن الذي أشغل الأمة بالكلاميات، والفلسفات والمجادلات، والكلام الفارغ، وحَشَا المؤلفات بالمغالطات والشبهات والأوهام؟ فالحق إنما احتوت عليه مضامين كتب السلف، وذلك من أسباب العزة والنصر.

والباطل إنما احتوت عليه مضامين كتب أهل الأهواء وذلك من أسباب الذل والهوان.

obeikandi.com